مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا عدد 02 خاص -أفريل2022 ص ص: 290-313
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

العادات والتقاليد بجنوب تيارت خلال الفترة الاستعمارية (1830م-1872م) "جبال عمور أنموذجا"

Customs and traditions in southern Tiaret during the colonial period (1830-1872) " Djebel-Amour as a model "

زارقـــة علي ♦

جـامعة ابن خلدون –تيـــارت ali.zerarka@univ-tiaret.dz

تاريخ الإرسال: 2021/10/27 تاريخ القبول: 2022/02/24 تاريخ النشر: 2022/04/30

الملخص باللغة العربية:

مثلت منطقة تيارت رافدا تاريخيا هاما في جانبه السياسي والاجتماعي خلال الفترة الاستعمارية، ولهذا نجد جل الدراسات التاريخية الخاصة بالمنطقة تولي اهتماما كبيرا بمجموع المتغيرات السياسية وكذا التمثلات الاجتماعية والثقافية التي شكلت موروثا ثقافيا ذو خصوصية واضحة.

وعلى اعتبار أن التاريخ الثقافي يعد من بين المواضيع الجديرة بالدراسة لدى الباحثين، خصوصا إذا تعلق الأمر بالموروث الثقافي في جانبه المتمثل بالعادات والتقاليد والممارسات الشعبية المختلفة، فمنطقة جبال العمور وهي إحدى المناطق الجنوبية التابعة لتيارت خلال الفترة الإستعمارية (1830م-1872م) ، فأول ما يلفت إنتباهنا بها هو تلك الممارسات الاجتماعية التي تناقلت من جيل لآخر عبر حقبات زمنية مختلفة، وتلك التركيبة الاجتماعية القبلية التي كونت نسيجا اجتماعيا متماسكا، سمح لها بمرور الزمن من تكوين وبلورة نمط معيشي متميز عن غيره اجتماعيا وثقافيا.

الكلمات المفتاحية: تيارت؛ جبال عمور؛ العادات والتقاليد؛ الموروث الثقافي المجتمع.

Abstract:

The region of Tiaret has represented an important historical monument in both the political and social sides during the colonial period. Thus, we can find that almost the historical studies concerning this region pay close attention to the totality of the

♦ المؤلف المرسل

political variables as well as social and cultural representations that have formed a cultural heritage with clear specificity.
Cultural history is one of the topics worth studying among researchers, especially when it comes to cultural heritage in its aspect of different popular customs, traditions, and practices. The Area of Djebel-Amour, one of the southern regions of Tiaret during the colonial period (1830 AD-1872). The first thing that draws our attention to them is these social practices that have been transmitted from generation to generation through different periods of time. Its most important characteristic is a tribal social structure that has formed a cohesive society that has allowed it over time to form and develop a living pattern that is distinct from others socially and culturally.

Keywords: Tiaret; Djebel-Amour; customs and traditions; cultural heritage; society.

1-مقدمة:

شهدت منطقة تيارت العديد من المتغيرات الإجتماعية والثقافية خلال الفترة الاستعمارية، وبما أن منطقة تيارت ذات إمتداد جغرافي وتاريخي هام مكنها من أن تكون حلقة وصل بين الكثير من مناطق الوطن، وبإعتبار منطقة جبال عمور ضمن ذلك الإمتداد الجغرافي والتاريخي، وهذا ما تؤكده الكثير من المصادر المحلية والأجنبية وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الباحثة ماتيا قودري في دراستها" la société féminine au djebel amour et au ksel" تأكد أن جبل عمور تم إلحاقه عام 1857م بدائرة تيارت ،كما يعتبر الكاتب الفرنسي Jean despois في كتابه" Le djebel amour" أن أول مركز إداري بالمنطقة كان تابعا لمقاطعة تيارت آنذاك، وبما أن التاريخ الثقافي يعد من بين المواضيع الجديرة بالدراسة لدى الباحثين،خصوصا إذا تعلق الأمر بالموروث الثقافي في جانبه المتمثل بالعادات والتقاليد والممارسات الشعبية المختلفة،ونظرا لأهمية منطقة جبال العمور الجغرافية والاجتماعية وحتى الثقافية ،نجدها شكلت إحدى الروافد الهامة لكتابة تاريخ تيارت،وتعد مثل هاته الدراسات بمثابة استظهار لتاريخ المنطقة في جانبه الاجتماعي الاثنولوجي، وكذا تعريفا لموروثها الثقافي ،فأول ما يلفت إنتباهنا بالمنطقة تلك الممارسات الإجتماعية التي تناقلت من جيل لآخر عبر حقبات زمنية مختلفة، فأصبحت موروثا ثقافيا يميز المنطقة عن غيرها من مناطق الوطن ، ومن هنا يمكننا طرح الإشكالية التالية:ما هي أهم مظاهر الحياة الاجتماعية بمنطقة جبال عمور خلال الفترة

الممتدة مابين 1857م-1872م؟ وفيما تمثلت عادات وتقاليد سكان المنطقة في ظل التواجد الاستعماري بها ؟وما هي الخصوصية الثقافية لهذا المجتمع ؟ وللإجابة على هاته الإشكالية اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي وذلك لوصف الحالة الاجتماعية والثقافية لساكنة المنطقة محل الدراسة، كما اعتمدنا الأسلوب التحليلي في بعض المحطات التاريخية التي تتوجب منا نوعا من التحليل والمقاربة التاريخية وفق منهج المماثلة السوسيوتاريخية.

2- التعريف بمنطقة جبال عمور:

تتمثل منطقة جبال عمور في مجال جغرافي ينحصر أساسا بين جبال القصور غربا وجبال أولاد نايل شرقا والذي لا يمثل وحدة جغرافية، وعليه يصعب تحديد جبال عمور في ظل السلسلة الجبلية التي تبدأ بالانخفاض تدريجيا من الغرب إلى الشرق ،بدءا من جبال عيسى 2233م بالقصور وقمم جبال أولاد نايل التي لا تتعدى 1600م ، وتصل إلى 2008م عند قمة جبال كسال في أقصى غرب هاته الكتلة[1]،أما الجزء المركزي بالمنطقة فتتجاوز ارتفاعاته 1700 م (جبل جرن عريف1721م ، جبل سيدي عقبة1707م)[2]، ويمكن اعتبار منخفض تاجموت كحد شرقي لجبال عمور، وتعتبر هاته الأخيرة أفضل جبال الأطلس الصحراوي المروية والغنية كذلك بمحطات ما قبل التاريخ[3].

تقع جبال عمور ككتلة صخرية من الحجر الرملي ذات مناخ بارد شتاءًا ، أما ينابيعها المتعددة وغاباتها الكثيفة فهي أهم ما يميزها، وتتدفق المجاري المائية الرئيسية بها بشكل عرضي أو غير مباشر [4]،كما تستضيف المنطقة مجموعة بيولوجية متنوعة رائعة،وذلك نظرا لطبيعة المنطقة التي سمح لها باحتواء مجموعة من الطيور المستقرة صيفا أو شتاءا أو حتى العابرة[5]،كما نجد هاته المنطقة من السهوب مواتية لتربية الأغنام

1- للمزيد ينظر: Jean Déspois, L'atlas saharien occidental d'algérie ksouriens et pasteurs, cahier de géographie du Quebec, 1959,pp,403-415

2- للمزيد ينظر: M. L.-R, Clary, Herborisations Dans Le Djebel Amour, Bulletin de la Société Botanique de France, 1892,p10

3 - G. Camps , Amour(Djebel), Encyclopédie berbère,n 04, Amzwar –Alger 1986,pp2-6.

4 - Jean Despois, Le Djebel Amour(Algérie), presse universitaire de France,108 Boulevard Saint-Germain,paris,1957,pp7-8.

5 - Mohamed Kouidri, Avifaune du Djebel Amour (Atlas saharien, Algérie): Structure du peuplement et Biogéographie, November 2019,p1.

المتميزة بإنتاج الصوف الناعم والطويل، ومن المعروف أيضًا أن ارتفاع هذه المناطق يؤدي إلى ظهور صوف عالي الجودة[6].

كما شكلت قصور جبال عمور مواطن استقرار و أماكن لجوء للكثير من البدو وهي: قصر تاويالة، قصر الخضراء، قصر الغيشة،قصر سيدي بوزيد، بالإضافة إلى مدينة افلو التي شكلت الجانب الحضري بالمنطقة، وهي أهم منطقة بإقليم جبال العمور،إذ نشأت وتوسعت في الفترة الممتدة مابين 1859-1960م بشكل مستمر،حيث وبعد مغادرة القائد العسكري للغيشة سنة 1859م توجه إلى مكان أكثر إستراتيجية ألا وهو "افلو" على اعتبارها تمثل موقعا أكثر تواصلا مع التل واقرب إلى الدائرة الإدارية التي كان يتبعها في تيارت، فوجد بها قصر الرحامنة المنتمون إلى عرش أولاد ميمون،وكان آنذاك في وضعية كارثية،وهذا القصر هو الذي ذكرته جل المصادر أثناء حملة باي وهران على الجنوب سنة1785م[7].

وبذلك أصبحت افلو نقطة انطلاق الكثير من الطرق التي تربطها بالمنطق المحيطة بها وبقلب جبال عمور، وفي حضن اكبر عروشها أولاد ميمون،وفي وسط مساحات هامة للمراعي الصيفية، أما سهولة تضاريسها فهي بدورها تسمح بالتواصل السهل مع الجنوب الشرقي والشمال الغربي، إذ تقع افلو على ارتفاع 1400م، ونجد مناخها أكثر برودة من الغيشة ومادة الحطب متوفرة بها نتيجة إحاطتها بالكثير من الغطاء الغابي،أما صيفها فهو أكثر انتعاشا من منطقة جنوب القعدة[8]، ويتركز موقع المدينة على هضبة وسهل صغير فوق "الوادي المدسوس"، وبالقرب من عين دائمة الجريان ،وبذلك تحولت افلو إلى مركز إداري واقتصادي لمنطقة جبال عمور والقرى المجاورة لها،وأصبحت آهلة بحوالي 500 ساكن خلال هاته الفترة،ويصفها Emile Dermenche قائلا:" وتظهر افلو كأنها مكان

---

6 - Le R.P Giacobetti, Les Tapis Et Tissage du Djebel Amour, Librairie Ernest Leroux ,Paris,1930,p9.

7- أحمد سعودي، جبل عمور من خلال الكتابات الفرنسية –رحلة في أعماق التاريخ والجغرافيا والاجتماع ،دار كردادة للنشر والتوزيع،الجزائر ،2020، ص57.

8- منطقة القعدة : هي إحدى المناطق الهامة بجنوب جبال عمور ،و يمكن تمييز هذه الهضبة التي يبلغ طولها حوالي 45 كيلو مترًا وعرضها 12 كيلو مترًا من خلال تواجد هضبة أنفوس وهضبة القرون شرقا و قعدة مادنا غربا،وتحتوي المواقع التالية :الغيشة،الحمرة، الخطارة، الحرحارة،عين الصفيصيفة،ثنية الخروبة،خرق الترك،حجرة الناقة (واد النورن)،العربية والحولي (مادنة)، فايجة الخيل(في الجنوب الشرقي من القعدة)للمزيد ينظر:

Malek Kerdel ,la station rupestre de l'Oued el Kheneg (Djebel Amour) Signalisation et descriptif, ikosim, n/09/2020, p141.

خيالي أسطوري من الخضرة والجو المنعش بمياهها ومراعيها الطبيعية وغاباتها الكثيفة والواسعة بأشجار البلوط وسهولها الواسعة الصالحة للزراعة والرعي وبأشجارها المثمرة" [9].

وهذا اعتراف ضمني من الكاتب رغم توجهاته وإيديولوجيته السياسية بخيرات المنطقة الطبيعية وثرواتها مثلها مثل باقي مناطق الجزائر، والتي جعلت المستعمر الفرنسي آنذاك يسن قوانين وتشريعات تسهل له استغلال هاته الثروات الطبيعية والحيوانية لخدمة بلده.

سمي جبل عمور تاريخيا بجبل راشد وتركيبته البشرية عبارة عن فسيفساء مكونة من العرب الذين قدموا إلى المغرب العربي، وكذا الهلاليون، بالإضافة إلى مجموعة من اليهود و الأروبيون، و مجموعة من الزنوج[10] ، أما العمور فهي مجموعة من القبائل العربية الهلالية التي استوطنت المنطقة واطلقت اسمها عليها ، واليوم هي ممثلة في مجموعة من الفروع القبلية: أولاد ميمون الغرابة والشراقة، أولاد يعقوب الغابة، أولاد يعقوب الزرارة، أولاد سيدي حمزة، العجالات وأولاد سيدي إبراهيم، ، أولاد سيدي الناصر، أولاد علي بن عمر والتي سنتطرق إلى تعريفها لاحقا[11].

ويعتبر الكاتب الفرنسي Jean Despois افلو أول مركز إداري فهي مقر البلدية المختلطة التابعة لمقاطعة تيارت" Chef-lieu de la commune mixte de l'arrondissement de Tiaret"، بعد أن كانت لزمن طويل مركز ملحقة الدائرة العسكرية لهذه المدينة، حيث كانت تسمى ملحقة جبال عمور المرتبطة بدائرة تيارت إلى غاية 1872م، لتنفصل عنها بهذا التاريخ، ليضاف إليها بعض العروش بعد التغيرات الإدارية التي حدثت مابين 1881م-1900م، لتتحول إلى بلدية أهلية سنة 1915م، ثم بلدية مختلطة في جانفي 1916م، وتم إلحاقها بالإقليم المدني لعمالة وهران في جوان 1922م[12]، كما استطاعت الباحثة ماتيا قودري في كتابها" La Société Féminine au Djebel Amour et au Ksel" تأكيد أن جبل عمور تم إلحاقه عام 1857م بدائرة تيارت، وفصلت عنه عام 1872م وأصبحت ملحقًا مستقلاً، إذ تأسست بلدية أفلو كبلدية أهلية مابين سنتي 1906م- 1915م، وأصبحت بموجب مرسوم حكومي صادر في 9 مارس

9- أحمد سعودي، جبل عمور من خلال الكتابات الفرنسية –رحلة في أعماق التاريخ والجغرافيا والاجتماع ، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2020، ص77.

10 -Tayeb dahlis, les percsécutés dans le monde,edilivre,tremlin collection,2012,p6

11- للمزيد حول أصول سكان المنطقة ينظر: G. Camps ,Amour(djebel) opcit,p3.

12 - Jean Despois, Le Djebel Amour(Algérie)…,opcit,pp87-90.

1915م بلدية مختلطة إبتداءا من 1 جانفي 1916م[13] ،وبناءا على ذلك نستنتج أن منطقة جبال عمور ألحقت إداريا بتيارت ولو لفترة معينة على أقل تقدير في الفترة الممتدة مابين (1857م-1872)م،وهذا ما ساعدنا في تحديد الإطار الزماني للبحث وكذا متابعة التحولات الاجتماعية والثقافية للمنطقة خلال هاته الفترة وحتى منتصف القرن العشرين من خلال عدة دراسات تناولت الموضوع .

،كما احتوت المنطقة على نقوش تعود إلى عصور ما قبل التاريخ من العصر الحجري الحديث من جنوب وهران على طول الأطلس الصحراوي ،واحتوت سلسة جبلية هامة ممثلة في جبل قورو وجبل بوخروف وجبل سيدي عقبة والخنق الأكحل وغيرها[14] ،وهذا يعتبر تنوعا جغرافيا ساهم في بلورة خصوصية بمنطقة جبال عمور.

3- القبائل المكونة لمجتمع جبال عمور واهم أنشطتها:

شهد مجتمع منطقة جبال عمور توزيعا قبليا هاما مكنها من أن تصنع كيانا مجتمعيا له نشاطات مختلفة خصوصا على الصعيد الفلاحي على اعتبار أن الظرفية التاريخية وكذا الظروف الاجتماعية وطبيعة المنطقة قد فرضت ذلك ،ومن مجموع هاته القبائل نجد:

3-1/ أولاد ميمون الغرابة: وبلغ عددهم3920شخص يعيشون في حوالي510 خيمة، وهم من البدو الرحل يعيشون فقط في الخيام، يستقرون في الصيف ابتداءا من أبريل أو مايو بوادي سبقاق[15]، وفي يونيو يحصدون الشعير وفي يوليو يحصدون القمح المزروع قبل مغادرتهم، كما يحافظون على بعض البساتين التي هم أصحابها في المنطقة المجاورة لسبقاق، ولهم مجموعة بيوت صغيرة، كما يرعون قطعانهم في سبتمبر أو أكتوبر عندما تهطل الأمطار في وقت مبكر بالقرب من جبل سيدي عقبة وجبل زرق وجبل عويدة، وبخلاف ذلك في ديسمبر ينزلون بحثًا عن المراعي في الجنوب بالقرب من عين ماضي، تاجرونة، أومنات والحجاج وواد زرقون، وإذا لزم الأمر يذهبون إلى أبعد من ذلك، و تختلف مدة إقامتهم في الصحراء من سنة إلى أخرى حسب هطول الأمطار [16].

3-2/ أولاد ميمون الشراقة: وعددهم 3225 شخص يعيشون في حوالي400خيمة وليس لديهم جميعًا نفس الحياة، حيث اثنين من فروعهم يستقرون ويسكنون باستمرار

13 - Mathea Gaudry, La Société féminine au Djebel Amour et au Ksel, Société Algérienne d'impressions diverses, Alger,1961,p16.

14 - M. L.-R, Clary ,opcit, ,pp2-18.

15- سبقاق:وتقع على بعد 25 كلم جنوب غرب افلو بلد مزروعة نسبيا وتحوز بعض المروج بفضل وفرة الينابيع الدائمة ومنها اثنان رئيسيان:عين عسول وعين التنسلي ،للمزيد ينظر:Ibid ,p14

16 - Mathea Gaudry, opcit ,p26.

في قصر سيدي بوزيد، والآخرون هم من البدو الرحل ويعيشون في الخيام ومن هؤلاء أولاد مدري وهم الذين يقومون بأكثر الرحلات شمالاً، إذ في الصيف تقبع هاته القبيلة جنوب سيدي بوزيد بحيث تزرع الأرض العرشية بالحبوب ويرعون قطعانهم، وفي الشتاء يذهبون بالكامل إلى المنطقة الواقعة بين الأغواط والجريفيل(البيض حاليا)، وإذا كان العام سيئا يقضون شتاءهم بالشمال بالقرب من العجالات أين تختار الأراضي المنخفضة المحمية، حيث المراعي حرة في السهوب إلى غاية جبال الناظور، ومنطقة الوسخ آنذاك (عين الذهب حاليا)، وباقي كسور هاته القبيلة مؤلفون من بدو لهم تاريخ طويل يتطورون باستمرار حول أفلو في مكان يتسع من 30الى 40كلم، و يقومون بزراعة أراضي العرش (شعير وقمح) وأعمال البستنة، أما في الربيع يمكثون بالقرب من الوديان والينابيع ويقومون بالتنقل بغرض تجديد المراعي، أما في الشتاء يقوم هؤلاء بالصعود إلى سهل الجلال للاحتماء من البرد[17].

3-3/ أولاد سيدي حمزة: وبلغ عدد هؤلاء 2889 شخص يقطنون ب400خيمة، وهم في الغالب من البدو، حيث بداية من شهر ماي يصيفون بالقرب من وادي بريدة، بركان، وتملاكت، أين يزرعون الأراضي بالشعير والقمح والقليل من الدبوس، ومع نهاية جويلية إلى غاية أكتوبر يخيمون حول قصور تاويلة[18] والخضرة، أما شتاءا يتنقلون ليخيموا إلى جانب تاجرونة[19] ولالمية[20].

3-4/ العجالات: وعددهم 3532 شخص يستقرون في 500خيمة، وهم من البدو الرحل الذين يعيشون في نطاق محدود لا يتعدى 40كلم عندما يغيرون معسكرهم وتموقعهم، وهذا ما يقومون به بشكل متكرر من اجل تجديد المراعي وتنظيف الخيم، إذ ليس لديهم قصر حقيقي،وبالتالي يعيشون فقط تحت الخيام، ومع ذلك فإن بعضهم لديه منازل صغيرة بقرية البيضاء، وواحد من هؤلاء وهو" الباشاغا بن فاطمة"، والذي امتلك مزرعة جميلة بالقرب من خيمته الضخمة، والعجالات يتميزون بزراعة الشعير والقمح ولديهم عدد قليل جدًا من الحدائق، ومع بداية جويلية إلى غاية سبتمبر يخيمون بالقرب من واد الطويل (البيضاء) والمنحدر من وادي سبقاق وبركانة، أين يزرعون و يرعون

17 - Mathea Gaudry, opcit,p26.

18- تاويالة: من اهم قصور جبال عمور ويبعد عن افلو حوالي 50كلم بجنوبها الغربي: للمزيد ينطر:

M. L.-R, Clary, opcit,p17.

19- تاجرونة: وهو قصر يقع جنوب افلو على بعد 80 كلم للمزيد ينظر:. Ibid, p17.

20- Georges Hirtz, L'Algérie Nomade et Ksouriénne 1830-1954, diffusion p. tacussel,p51.

قطعانهم بجوار جبل قرن العليق، والتي تتدرج أراضيه إلى غاية جبال الناظور، أما في الشتاء فينزلون للاحتماء في السهول الخاصة بمنطقة تريزل وزنينة والجلفة[21].

3-5/ أولاد سيدي إبراهيم: ويبلغ عددهم 1797شخص يحتمون في 225خيمة، ويشكلون قرية سابقة للعجالات ويعيشون بنمط هؤلاء، يقضون الصيف في توربي والشتاء يحتمون بالقرب من منطقة لاحس الهود[22].

3-6/ أولاد سيدي الناصر: وعددهم2812 شخص يقطنون في400خيمة، ويشكل ثلاثة أرباعهم البدو والربع مستقرون، ويقضون الصيف بالقرب من واد القصب،وواد ماسين أين ترعى ماشيتهم، ويقومون بزرع الشعير والقمح، وتشكل منطقة عين البكاي وعين الكورينة بساتينهم، أما الحوض الشرقي والغربي وفركان واقناب، و هي ليست بقصور تشكل تجمعات لبيوت صغيرة وأكواخ، أما الفئة المستقرة من القبيلة ومن بينهم الكبار والعاجزون الذين لا يستطيعون متابعة النزوح فإنهم يعيشون في قرى صغيرة، وفي الشتاء ينقسم أولاد سيدي الناصر إلى جزئن فالجزء الأكبر ينزل من المرتفعات ليستقر في الأجزاء المجوفة المحمية والدافئة بالقرب من واد سيدي الناصر أين توجد المراعي، والجزء الأخر من القبيلة يتوجه نحو الصحراء ليستقر ببعد 50كلم عن منطقة الحميضة لتأمين الغذاء [23].

3-7/ أولاد يعقوب الزرارة: وينقسمون هؤلاء إلى فئتين، وهما أولاد يعقوب الشراقة (3376شخص و390خيمة)، وأولاد يعقوب الغرابة (3029شخص و320خيمة)، وهم أكبر البدو في بلدية افلو وأكبر مربي الأغنام، إذ يعيشون فقط في الخيام ولا يملكون أي قصر في الشمال، كما يذهبون في الصيف إلى العشابة (سهوب شاسعة بها الكثير من العشب) بالقرب من الوسخ وجبل الناظور وفرندة وتيارت، حيث وفي السنوات الأخيرة استقر عدد منهم في تاويالة ،وفي الشتاء يذهبون تجاه قصرهم الجنوبي" تاجرونة وواد زرقون" أين يجدون المراعي لقطعانهم العديدة و يزرعون الأرض بالحبوب[24].

3-8/ أولاد يعقوب الغابة: نسبة إلى الغابة ونموا إداريا في جزء من منطقة القمامتة، ويشكلون مجموعة تقدر ب: 2635 شخص و450خيمة،و هم في الغالب نصف رحل، كثير منهم لديه أرض تتكون من حديقة وفي بعض الأحيان بيوتات صغيرة أو قربي(كوخ صغير) ضمن إحدى قصور القمامتة، ويتنقلون ثلاث مرات في السنة، ففي

21 - Mathea Gaudry ,opcit, p27.
22 - Ibid, p28.
23 -Ibid, p28.
24 -Georges Hirtz,opcit,p52.

الربيع عند عودتهم إلى الجبل يحصدون حبوبهم في سهول "الشوابير، المقزن، المزارة "، وفي الخريف وقت الحصاد يتوجهون إلى قصور بانفوس والرياشة، وفي الشتاء ينزلون مع أغنامهم جنوبا بمحيط منطقة تاجرونة وواد زرقون[25].

3-9/ أولاد علي بن عمر: ونموا إداريا في جزء من منطقة القمامتة، ويتشكلون من مجموعة تقدر ب:2879شخص و450خيمة، مثلهم مثل أولاد يعقوب الغابة، فيتنقلون ثلاث مرات بالسنة، ففي الصيف يحصدون حبوبهم بمنطقة عرعار وواد مرة، أين لديهم بعض الأكواخ والماشية، وفي الخريف يبقون بالقرب من وادي مزي بجانب مادنة أين توجد قراربيهم وحدائقهم الخاصة، وبعد الحصاد يقومون بالاتجاه نحو منطقة تاجموت[26].

ويقول Trumelet في هذا الصدد:"إن هذا الرخاء النسبي غالبا ما يجلب إلى حدود جبل عمور قوم القبائل المجاورة التي كانت اقل حضا مثل أولاد نايل والأرباع والأحرار...، و يمتلك جبل العمور بالإضافة إلى قراه المعلقة مثل أوكار النسور حصنين طبيعيين وهما قعدتاه، هضبتان شديدتا الانحدار وهما تشرفان على كل المنظومة الجبلية للإقليم، كل قعدة متوجة بقرية فأنفوس للغربية و مادنة للشرقية وهي اليوم مهجورة..."[27].

ورغم التنوع البيئي لمنطقة جبال عمور إلا أننا نجد نمطا اجتماعيا مزدوجا ألا وهو حياة البدو وحياة القصور، ويشير هنا احمد بن هطال التلمساني واصفا قصري تاويالة و الخضراء برحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري قائلا"...ثم أصبح مرتحلا نحو الخضراء، فوصل إليها في ست ساعات، فجاوزها بنحو الميل ونزل على تاويالة، وهما مدينتان كل واحدة لها بساتين كثيرة، وماء غزير ومزارع، إلا أن تاويالة أكثر عمارة وأوسع مزارع..."[28]، حيث سكن جبال عمور إجمالا مع نهاية القرن التاسع عشر وعددهم 2120 نسمة بشكل مستقر ويقابلها من البدو الرحل ما يقارب 27800 نسمة يعيشون تحت الخيام بصورة دائمة وذلك نهاية القرن التاسع عشر[29].

4- تنظيم المجتمع العموري في ظل التواجد الاستعماري بالمنطقة: ما تجدر ملاحظته منهجيا عند دراسة هذا التوزيع الإقليمي لأهم القبائل و العروش الجزائرية، أنه مصطحب

---

25 - Mathea Gaudry ,opcit,p28.

26- للمزيد حول الإحصائيات الخاصة بساكنة جبال عمور،ينظر :Ibid,PP 5-28

27-C.Trumelet, Les Français Dans Le Désert, Librairie Algérienne Et Colonial, paris,1887,pp172-179.

28- أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري"الى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم:محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969م، ص41.

29- Jean Despois, Le Djebel Amour(Algérie)…, opcit ,pp25-26.

من الناحية الاجتماعية بتأطير داخلي من طرف أسر و عائلات برزت بقياداتها وزعاماتها، إذ لعبت دورا قياديا داخلها، إما إجتماعيا، إقتصاديا، سياسيا، أو دينيا، سواء خلال فترة الأتراك المتأخرة وخلال القرن التاسع عشر و حتى عقدي القرن العشرين الأول و الثاني.[30]

والمعروف تاريخيا أيضا أن إتحادات العروش والكونفيدراليات القبلية كان يشكل من الناحية الإدارية "آغويات" ووحدات إدارية، يخضع فيها الآغاوات إلى سلطة بايات المناطق الجزائرية، وهو التنظيم الفعال الذي حافظ عليه الأمير عبد القادر بن محي الدين في مرحلة مقاومته و الذي اتبعته سلطة الإحتلال الفرنسي أيضا. و جدير بالإشارة هنا أن بعض الإتحادات القبلية كانت تلعب دور المخزن بكاملها في صالح السلطات السياسية المختلفة، و نموذج ذلك نلقاه عند قبائل ودواوير بالغرب الجزائري. إلا أن ظاهرة استعمال القبيلة من طرف الإحتلال الفرنسي طوال فترة الثورات المسلحة في الريف الجزائري ما بين 1831 و1881، سيعرف تطور هذه البنية السياسية العربية، هذا الذي سيخترق ويحاصر مجتمع القبائل الجزائرية، وهو ما شكل طبقة مخزنية وطبقة الأجواد وقسما من الأرستقراطية الدينية .[31]

وبهذا الصدد نجد عائلة "بنو يحي" التي استوطنت جبل عمور منذ القرن الثالث عشر ميلادي، و أصلها من أولاد ميمون و هي شريفة النسب ، تزعم هذه العائلة سنة 1830 جلول بن يحي الذي آزر الأمير عبد القادر، و تقلد جلول بن يحي آغوية جبل عمور حتى 1854 رفقة أخيه "الدين" الذي تقلد منصب "خليفة" معه، و خلفه في منصبه بين 1859 و1860 ، حيث أدار مناطق العريشة و آفلو. ولقد قاد فرسان المخزن في منطقة جبل عمور رفقة ولديه طاهر بن الدين قايد" أولاد ميمون" و الوكال بن الدين قايد" أولاد يعقوب لغرابة".[32]، حيث كانت افلو تعمل على إدارة تسعة دواوير من خلال قيادها التسع الذين يتوجب حضورهم إجباريا إلى مكاتبهم داخل البرج كل يوم احد، وهو يوم السوق الأسبوعي ويمتلك هؤلاء القياد سكنات رسمية[33].

وهنا نجدأن العائلات القيادية و المخزنية كعائلة يحي بن جلول وأخاه الدين عرفت بالثراء و ملكية الأراضي والحيازات الواسعة طيلة القرن التاسع عشر، كما امتلكت بعضها عقارات عديدة في بعض المدن .ولقد استفاد الأحفاد المنحدرون من هذه العائلات مع قبل أن تتأثر هاته المكانة لاحقا ابتداءا من سنة 1863 وهو تاريخ تطبيق محتوى قرار

30 -إبراهيم مهديد، الأرستقراطية التقليدية الوهرانية خلال القرن19م والرأسمالية الاستعمارية : إشكالية الإندماج الاجتماعي، إنسانيات، العدد1998، 4، ص181-182.

31- نفسه ، ص182.

32--نفسه ، ص183.

33 - Jean Despois, Le Djebel Amour(Algérie)…,opcit,p104.

السيناتوس كونسولت، و المتعلق بتجزئة الأراضي الجماعية للقبائل و العروش لتفكيك عرى العروش والإتحادات القبلية القوية، تلك التي صمدت ضد الاحتلال الفرنسي بثوراتها وانتفاضاتها[34].

5- مساكن منطقة جبال عمور

تعددت أماكن استقرار ساكنة جبال عمور، وذلك بتعدد النمط المعيشي لها فهناك من تنقل هنا وهناك باحثا عن الأراضي الرعوية ،وهناك من استقر بالقصور المجاورة لمدينة افلو ،والتي بدورها احتوت العديد من السكنات لقاطنيها، ولذلك نجد تنوعا سكنيا تمثل فيما يلي:

5-1/ الخيمة "البيتة" :

تمثل الخيمة (البيت)الوطن الحقيقي للبدوي حتى و لوكان له بيت في قصر من قصور المنطقة، فكل عائلة لها خاصتها، ونجد مجمل الخيام في المنطقة سوداء مخططة من وقت لآخر بشبكة خفيفة وشريط من القماش تنسجه النساء وهو ما يسمى (الفليج)، ويبلغ عرضه من 60 إلى 70 سم ،وطوله متغير، يحدها من كل جانب شريط من 2 إلى 10 سم تقريبًا من شعر الجمل ،أو حد أبيض من نصف إلى 2 سم مصنوع من الصوف أو شعر الماعز، كما نجد حجم الخيمة يعتمد على ثروة صاحبها، ويتراوح قطرها بشكل عام ما بين 3 إلى 15 م ، لكنها في بعض الأحيان تتجاوز هذا الطول، وعدد الأفلجة بها متغير حسب طبيعة الخيمة واحتياجاتها [35].

يتم انجاز الخيم من طرف عاملات تمكنوا من العمل بمهارة ملحوظة[36]، ويكون عدد الافلجة من 3 إلى 4 بالنسبة لخيمة صغيرة أو ما يعرف بالعشة، وقد يكون 10 بالنسبة للحجم المتوسط أو ما يسمى الخيمة، ومن20 إلى 30 بالنسبة لخيمة كبيرة ،وغالبا ما تكون الخيمة نصف بيضاوية الشكل، لا تحوطها أشياء، ولا يوجد خندق يحيط بها[37].

اما الأشخاص الذين يعيشون بالخيام ومهمتهم حراسة الأغنام، نجدهم قد اعتادوا على إيواء خيمهم بحزام من شجرة العناب (السدرة)، وركن قطعانهم في العلبة المجهزة لها(الزريبة)، ولتفادي دخول المياه للخيم تحفر النساء أحيانا حول الخيام قنوات لذلك وهو ما يعرف ب "الوني"، كما لم يكن اتجاه الخيمة ثابتًا ، وغالبًا ما يتم توجيه الفتحة إما

34- إبراهيم مهديد، المرجع السابق، 184.

35 -Mathea Gaudry ,opcit,p80.

36 - Le R.P Giacobetti,opcit,p11.

37 -Mathea Gaudry ,opcit,p87.

نحو الشرق أي نحو مكة ،ونجد الفليج يثبت بحبال من الحلفة مربوطة بوتد من الخشب أو ملزم من الحديد المثبتة بالأرض، وتحمل الخيمة في وسطها بمجموعة من الركايز والتي يتراوح طولها مابين 50 إلى 80سم،في حين نجد مجموعة من الأعمدة الخشبية والتي يتراوح طولها مابين 1 إلى 1.5م[38].

وهذا ما يؤكد أن حجم الخيمة يتوافق ومتطلبات العائلة وعددها، كما أن الزخارف المتواجدة بهاته القطع النسيجية توحي إلى ما يوجد من مؤثرات ثقافية وأخرى طبيعية ميزت البادية وخصوصيتها العربية الإسلامية الممزوجة بتراث محلي يخص المنطقة محل الدراسة .

5-2/ الدار: وتتواجدغالبا بالقصور وتكون مبنية إما بالكامل من الطوب، أو من الحجر في القاعدة والطوب من الاعلى وذلك بالمناطق الجنوبية، أما المناطق الشمالية فقد احتوت دورا مبنية بالحجارة لمقاومة المطر، و بشكل عام تتكون هاته المساكن من طابق أرضي واحد، وأحيانًا من طابق أول،كما تحتوي جميعها تقريبًا على فناء تفتح عليه الغرف وهي مركز الحياة المنزلية،وفي افلو يمتلك السكان الأصليون بيوتا ذات بناء حديث تفتح إما مباشرة على الشارع أو على فناء مشترك، ولكن في أغلب الأحيان يفضلون المساكن من النوع الأصلي، والذي يكون أكثر ملاءمة لطريقتهم في الحياة،فالبدو الأثرياء ولا سيما أولاد ميمون يمتلكون منازل بهاته المناطق[39].

يختلف أثاث هاته المنازل من حيث الوفرة وحسب الحالة المادية لكل شخص ، لكنه غالبا ما يكون من نفس النوع وشبه إلى حد كبير أثاث الخيم بالبادية،ومع ذلك فإن عددًا من الأثرياء المستقرين بافلو او القصور المجاورة لها يمثلون استثناءً للقاعدة، حيث تنعكس رفاهيتهم بشكل مزدوج ونجدهم يمتلكون احتياطي معتبر من النسيج (السجاد، البطانيات، الوسائد ...) ،و أثاثهم يتجه في طبيعته نحو الحداثة، ووجود الأواني الزجاجية يؤكد ذلك، كما يتم الاستعانة بأوعية معدنية،واخرى جلدية مثل القربة(وعاء جلدي مخصص لوضع الماء) مما يعطي الماء نكهة رائعة ، واحيانا يكون الأثاث أوروبى المنشأ،كما احتوت غرف هاته المنازل اثاث ذو طراز شرقي مع حضور السجاد المحلي والوسائد والاواني النحاسية المنحوتة يؤكد مدى التأثر بالتراث الشرقي، وأحيانًا تكون الشقة بأكملها مفروشة بالذوق الفرنسي،مثلما هو الحال مع فيلا الأغا "دحو" بافلو والذي كانت زوجته فرنسية[40].

38 - Mathea Gaudry ,opcit,pp87-88.
39 -Georges Hirtz,opcit,p55.
40 - Mathea Gaudry ,opcit,p89.

3-5/ سكنات الزنوج وفئة اليهود: تمثلت منازل الزنوج بجبال عمور في بناء مكون من حجارة متصلة بالطين ومغطاة بنوع من التكتل الطيني الممزوج بالتبن وفروع مائلة مثل السقف،وهذا ما تؤكده الآثار المتبقية من بعض منازل جبال عمور حاليا،أما اليهود فجميعهم يعيش بمدينة افلو وفي بعض القصور ، و يميلون إلى التجمع معًا في شوارع معينة، وهذا ما شهدته مدينة افلو على وجه الخصوص،و بضاحية من افلو نجد ما يسمى القرية السوداء (Village Négre) التي استقر بها العديد من الوافدين من مناطق مجاورة واغلبهم زنوج،إذ يصفها الضابط Pierre Boudot قائلا:"... القرية صغيرة والشوارع واسعة بما فيه الكفاية، يمكنك أن تشعر أنها مبنية على الفضاء،المحلات ضيقة،وبدون نوافذ، رأيت على الرصيف الزربية الشهيرة لجبل عمور بألوانها التقليدية، النيلي والأحمر، ومن بعيد تظهر لي قرية الزنجي حيث يُمنع الخروج..."[41].

6- ملابس وأحذية ساكنة جبال عمور:

تشمل ملابس جبل عمور عناصر متنوعة للغاية منها ما هو قديم وأخر حديث، وهذا ما يفسر حقيقة محافظة ساكنة المنطقة على تقاليدهم المتوارثة، وهنا نجد العديد من القطع وهي كالأتي:

1-6/ الألبسة: انتشرت العديد من الألبسة بجبال عمور منها ما هو أصيل وأخر مكتسب من خلال الاندماج مع فئات معينة أوربية كانت او يهودية مثلما هو الحال بالنسبة: القمجة، القفطان، السدرية، السروال، الجلتيتة، الروبة (العباية)، الجبة، الملحفة، المحزمة وهذا للنساء، اما الرجال فنجد مل يميزهم لبس البرنوس والجلابية والعباية ، كما استطاعت المرأة العمورية غالبا تغطية شعرها بأغطية منها: الشمبير،الشدة، المنديل،المثقال،الحولي، المعكسة، و يغطى الجسم كله برداءات يطلق عليها اسم: القنبوز، الكسا، الخمري،وغيرها[42].

2-6/الأحذية : تسمى الأحذية محلية الصنع بجبال عمور (المسيل)، ويرتديه البدو وكذلك الحضر المستقرون بالقصور والمدينة، رجالا كانوا أو نساءا، ويصنع المسيل من جلود الحيوانات وخاصة الأبقار،كما يميزه وجود بعض العلامات من التطريز لدى أحذية النساء والأطفال،ويملك البدو من الرجال والنساء حذاء يعرف كذلك ب(بومنتل) وهو مصنوع من جلد البقر أو الإبل على حد سواء و بأشكال مختلفة، وغالبا ما يكون مثقوب في الحافة ثقوبا يربطها حبلًا،وتلف القدم بخرق صوفية قبل لبس البومنتل، و يثبت

41 -Pierre Boudot, L'Algérie mal enchainée NRF,Librairie Gallimard,1961,p30.
42 - Mathea Gaudry ,opcit,p 95.

الحبل جيدا على مستوى الكاحل،وهذا الحذاء المبطن مميز في فصل الشتاء ، إذ لا نراه في فصل الصيف[43] .

ونستطيع القول أن الألبسة والأحذية بالنسبة للسكان المحليين بجبال عمور يتوافق وطبيعة المنطقة ،فمنها ماهو متوارث أبا عن جد، ومنها ما هو مكتسب، في حين نجد أن هاته الألبسة جلها يعتمد في صنعه على المنتوجات الحيوانية من صوف وجلد وغيرها،و استطاعت ساكنة المنطقة تحقيق احتياجاتها اليومية من ملبس ومأكل بعيدا عن الممارسات الاستعمارية التي كانت تهدف أساسا إلى تهميش الجزائريين ومصادرة منتوجاتهم وكذا تفقيرهم، محاولة الضغط عنهم من خلال تقليل مواردهم النباتية والحيوانية بتشريع قوانين تخص ذلك.

3-6/ ألبسة الزنوج واليهود بمنطقة جبال عمور:

بالنسبة لفئة الزنوج لا يختلف لبسهم كثيرا عن بقية الأهالي،أما فئة اليهود وخاصة القادمون من التل فيلبسون غالبا على النمط الفرنسي ،فترتدي النساء المسنات منهم قميصًا يسمى (الجبة) ، ويستعمل في الصيف ملحفة القطن، ويرتدى السروال مثلما هو الحال عند المسلمات، أما في الشتاء فيتم لبس ما يعرف بالكسا المصنوعة من الصوف (الحولي) بدون "سماشة"وهي إحدى الحلي الخاصة بتزيين نساء جبال عمور، وغالبا ما تأخذ شكلا دائريا وهي من الفضة المزركشة بألوان مختلفة[44].

أما تصفيفة الشعر عند المرأة اليهودية فله خاصيته حيث يستعمل وشاح واحد مطوي على شكل مثلث، وتوضع القاعدة فوق الجبهة، لأن الشابات لا يكلفن بإخفاء شعرهن، فتتقاطع الأطراف في مؤخرة العنق وتجلب إلى الأمام وتقيد على مستوى الجبين، وتسقط الأجزاء المدببة مرة أخرى على الكتف، أما بالنسبة للأحذية فغالبا ماي مشي اليهود مثل العرب حفاة، إلا من هم في مرتبة اجتماعية عالية فيرتدون أحذية عالية الكعب و جوارب ضيقة ،مع ارتداء خاتم الكاحل الفضي لدى النساء[45]،وهنا نجد أن العنصر اليهودي أضاف العديد من العادات والتقاليد لسكان المنطقة من خلال لبسهم المميز،وكذا ممارساتهم المناسبتية الدينية منها واليومية.

7- النظافة الجسمانية لدى نساء جبال عمور:

شكلت النظافة الجسمانية لدى سكان جبال عمور محل اهتمام الأغلبية، ولهذا نجد عديد النساء العموريات يهتممن بنظافتهن وجمالهن باستعمال العديد من الوسائل والأدوات وهنا نحاول توضيح ذلك:

---

43 - Mathea Gaudry ,opcit,p p96-105.
44 -Georges Hirtz,opcit,p59.
45 - Ibid, p 63.

7-1/الاغتسال: عرفت نساء جبال عمور اهتماما بالنظافة، حيث نجدهن يذهبن مرة بالشهر لما يعرف بالحمام للاغتسال ونزع الشعر أو تلوينه، وغالبا ما كانت تستعمل هواتي النسوة مواد تقليدية أو مشتراة، ونجد على سبيل المثال "الذهبية"وهي مادة محتواها كاربير الكالسيوم تستخدم لنزع الشعر، ولغسل الشعر يتم استخدام الصابون والغاسول، وتلون المرأة شعرها وتزينه باستخدام «الحنة" والتي يتم تثبيتها ليلة قبل الذهاب للحمام[46].

أما بالنسبة لتزين العيون فيستخدم الكحل، وهو الذي يستعمل للتزين أيام الأفراح و أيام الجمعة، وذلك من خلال حرق نواتان من التمر، والشيح، وأحيانًا القليل من خشب الدفلى، يحضر و يُطحن الكل ثم يُغلق في علبة شبكية صغيرة مغطاة بالجلد، أو علبة فضية صغيرة، و يتم الاستعانة بقلم الكحل(المرود) وهو عبارة عن عصا من الدفلى أو القصب المقطوع، وهذا لتكبير العينين وتزينهما، و الكحل شيء مرغوب فيه لدى المرأة العمورية[47].

7-2/ العناية بالأسنان: لتبييض الأسنان ولون اللثة عمل سكان المنطقة على استخدام جذع الجوز "المسواك"،كما استخدمت نساء جبال عمور لتعطير رائحة الفم معجون راتنج العدس"المستكة"،أما بالنسبة للعطور فهناك من يستعمل العطور المشتراة من الدكاكين، أو المحضرة في المنازل من الأعشاب والنباتات ذات الرائحة الطيبة مثل القرنفل وعطر الورد وعطر الياسمين وعطر اللبان وغيرها.

7-3/التزين بالوشم: شاع الوشم عند النساء اللواتي يحتفظن بالأزياء القديمة،و النساء القصوريات ونساء البدو الرحل اعتدن وشم أنفسهن وذلك من اجل تزيين البشرة، والوشم بمنطقة جبال عمور يتميز بأبعاده الصغيرة،ويكون عادة على مستوى الوجه والأطراف، وأحيانا يكون حتى على مستوى الصدر، كما يأخذ الوشم أشكالا مختلفة[48].

ولذلك نجد ورغم الظروف الطبيعية القاسية بمنطقة جبال عمور وكذا الطابع البدوي إلا أن ساكنة المنطقة اهتمت كثيرا بالنظافة الجسمانية وهذا يؤكد الارتباط الوثيق بتعاليم الدين الإسلامي الذي طالما نص على ذلك بالرغم من محاولة المستعمر لتجهيل وتشريد السكان،وخير دليل على الاستقلالية النفسية والروحية لدى سكان المنطقة اهتمام المرأة العمورية بتزين نفسها، والمتمثل في الاعتناء الدقيق بجمالها و أنوثتها حفاظا على موروثها الثقافي وجماليتها النفسية والشكلية.

---

46 - Mathea Gaudry ,opcit,pp106-107.
47 - Ibid,p107.
48- Ibid ,pp 114-117.

8- الزواج بمنطقة جبال عمور: يعتبر الزواج بمنطقة جبال عمور إحدى أهم المظاهر الاجتماعية مثله مثل بقية البلاد الإسلامية، إذ يعبر عن بناء أسرة وترابط قبائل وتكوين مصاهرة،فيتم اختيار الزوج دائمًا من قبل والد الابنة الصغيرة، وتوجهه اعتبارات مختلفة كالوضعية الاجتماعية والمادية ،وكذا مكانة القبيلة، بالإضافة إلى اعتبارات الأخوة والصداقة والعمل[49].

كما يتواجد أناس بالمنطقة محل الدراسة يتزوجون قيما بينهم من خلال مجموعاتهم (الحدادين والصباغين...)، و نادرا ما يعطي القصري(ساكن القصر) ابنته للرحل،و ليحسم الرجل أمره يجب أن يكون الخاطب ثريًا ، باستثناء البعض مثل التجار وغيرهم من أصحاب المال، ولكي يتخذ البدوي من جانبه هذا الاختيار ، يجب أن يكون هناك هدف حقيقي أو اندفاع قوي من قلبه،لأن القصورية بعيدة كل البعد عن الاستعداد لتعليمها للدور الذي ستلعبه معه بالقبيلة، حيث تكون حياة الأنثى صعبة وتتطلب تدريبًا خاصًا وهو ما تفتقر إليه القصورية وذلك لطبيعة نشأتها ، وهذا السبب نفسه الذي جعل القصرين يترددون في تزويج ابنتهم للبدوي.[50]

8-1/صداق المرأة بجبال عمور وجهازها:

بمجرد تقديم الطلب رسميًا أو ما يعرف "بالخطبة يصبح التحالف فعّالاً بين العائلتين، وذلك بعد أن أعربت إحدى العائلتين أو كليهما عن رغبتها بشكل عام عن المصاهرة، و سن الزواج المحدد بالمنطقة هو 15 سنة،و كان من الضروري أولاً تحديد المبلغ ويقدم أيضًا مبلغًا متغيرًا مخصصًا لأم العروس كهدية،كما يناقش في الخطبة رقم المهر نفسه، والذي سيكون ملكًا حصريًا للعروس، ويستحق المهر مقدما أو في المستقبل،ويتحدد الحد الأدنى للمهر "الشرط" بالاستعمال، لكنه يزداد حسب الحالة الاجتماعية للمخطوبة وثروة الخاطب، والمهر المعتاد بافلو يتراوح من **10000** فرنك إلى **50000** فرنك بالنسبة للعائلات الثرية ،و إجمالي التكاليف التي يدفعها الزوج المستقبلي : (المهر،الجهاز"التروسو"،الوجبة، الفانتازيا)، و تعتبر سباقات الخيول أو الفانتازيا أهم المظاهر الاجتماعية والثقافية بمنطقة جبال عمور، ويمكن للرجل من خلالها إبراز الشهامة والقدرة على الفروسية،وبهذا الصدد يقول دوماس في كتابه : خيول الصحراء "...العربي لا يزال يفضل الفرس لأنها منتجة صامتة ورصينة..."،ويذكر كذلك قائلا:"...تفضل الأفراس لان بيعها كنز وظهرها كرسي شرف...،وأعظم الخير امرأة ذكية

49 - Jean Despois,opcit,P117.
50 - Ibid, P119.

وفرس خصب..."،كما يمثل الحصان جزء من العائلة البدوية، وأشهر الخيول في الجزء الشرقي من المنطقة هي عند أولاد يعقوب الزرارة والعجالات وأولاد ميمون الغرابة [51].

وهنا يبرز الكاتب مدى اهتمام سكان جبال عمور بالخيول على اعتبار أنها تمثل مظهرا من القوة والشرف وذلك لما اكتسبته من مكانة أيام الثورات الشعبية،ولما تقدمه هاته الخيول من خدمات كبيرة لأصحابها،وهي بذلك إحدى روافد الموروث الثافي بالمنطقة التي طالما حافظت على روح التحلي بالقوة والشهامة.

أما بالنسبة للحلي والمجوهرات فعادة ما تكون من الذهب عند العائلات الثرية في حين تكون من الفضة عند باقي العائلات ميسورة الحال ،و مجموع هاته الحلي والمجوهرات تمثل في : السماشة، زوج الأساور، حلقات الكاحل"الخلخال"، قلادة"الشركة"،البزايم، الأقراط، وتضاف عند الإمكان خواتم وحزام فضة، و تقدم الحلي مع الجهاز، والذي يحوي بدوره"الملحفة،الحولي،أوالبخنوق،الروبة،القمجة،الفولار،زوج الأحذية"[52].

ومن المعتاد أن يقدم والد الزوجة لابنته بعض المساعدات(الحلي ،فراش،الوسايد والخزازن) من اجل السفر والتنقل،وبعض المؤونة من السكر والشاي وغيرها ،كما يضاف عند البدو أحيانا الباصور وصندوق وجمل،أما أم العروس فتقدم لها بعض الهدايا(مواد التجميل والعطر،مزود الحنة، مشط، لحاء الجوز،الكحل، الجاوي،عيدان القرنفل، ،الغاسول،الصابون والزيوت المعطرة،مرآة صغيرة وصخاب "سلسلة من مواد عطرية")، كل هذا يغلق عنه في صندوق مخصص لذلك،ويتضمن الزواج عدة مراحل منها الخطبة والفاتحة ثم الزفاف "العرس" وله الكثير من الخصائص التي لازالت متوارثة إلى يومنا هذا من مأدبات طعام، وتلاقي أهالي العروسين، والاحتفال بالطبل والزغاريد وغير ذلك من مظاهر الفرح، وهذا ما تؤكده العديد من المصادر الأجنبية وحتى العربية[53].

9- المطبخ بمنطقة جبال عمور:تميز مطبخ جبال عمور عند البدو أو الحضر بتنوع مأكولاته ونجد على سبيل المثال:

الكسرة: وتتمثل بدورها في عدة أنواع منها: الفطير والمطلوع والمبسس وتكون مادتها الأولية من القمح المطحون و أحيانا الشعير، ويمكن أن يضاف إليه القليل من السانوج الأكحل وحبة الحلوى، وهناك العديد من الوجبات المتعددة بتعدد مناسباتها ومكوناتها مثل:(الحريرة،الطعام،السفوف،والمردود،والرفيس،والطاجين،والرقاق،والبقرير،وكـذ

51-Le Général Daumas ,Les Chevaux du Sahara, f.chamerot, libraire - éd , paris,1851,pp42-43

52 -Mathea Gaudry ,opcit,pp140-144.

53 - Ibid,p147.

ا الكعبوش "المعجون"، والمسمن، والمسكوتشة، والروينة، والبسيسة)، بالاضـافةإلى الكثير من المشروبات، واهم ما يميزها :(اللبن، والشنين، والدردور، والقهوة المعطرة بالشيح، والاتاي المعطربالنعناع، ومحلول الشيبة، و الملويزة)، بالإضافة إلى صناعة الزبدة ،والكليلة، والرايب، أما بالنسبة لمشروب الجعة فغالبا ما يتواجد في المدن وبعض القصور ويتناول من طرف البعض وخاصة الأجانب[54].

وهذا التنوع بمطبخ جبال عمور جلب له خاصية ثقافية على اعتبار انه مزيج من الأكلات الشعبية التقليدية المحلية والمكتسبة الناتجة عن تعاقب العديد من ساكنة المنطقة ،و تأثرهم بما جلبه الأندلسيون للبلاد الجزائرية مع مطلع القرن السادس عشر والذي ظل حاضرا إلى يومنا هذا بالمطبخ الجزائري، كما كان للحضور العثماني تأثير بما جلبه من إضافات للمطبخ الجزائري بصفة عامة، وهو ما يندرج ضمن الموروث الثقافي العثماني بالجزائر، كما أن هناك أكلات مستقاة من المطبخ اليهودي الحاضر بالمنطقة آنذاك.

10- الفنون والحرف اليدوية:

عرفت الصناعة الحرفية بجبال عمور حضورا جليا، من خلال صناعة ما هو ضروري للحياة اليومية، فمن الملاحظ بالمنطقة عدم وجود حدادين إلا في مجموعات قليلة، لأن كل بدوي يعرف كيف يلبس حصانه بنفسه، ويندرج ذلك ضمن العمل الرئيسي المتعلق بنشاطه، إلا أننا نجد عند أولاد يعقوب الغابة حدادان بالقبيلة يتابعانها في كل التحركات، وقبيلة العجالات يوجد بها ثلاثة حدادين، فنستنتج أن هذه المهنة لا تحظى باهتمام كبير، أما بالنسبة لعمل الجلود فسجل تواجد اسكافي عند قبيلة العجالات الذين لديهم عدد كبير من الأغنام، كما وجدت حرفة التطريز الجلدي وتزيين السروج وأحزمة الخيول بتطريز ماهر للغاية، وهو ما اهتم به الفرسان الأنيقين، ويعمل بعض الرجال أيضًا في صناعة الأحذية و التطريز على القماش، والكل يعمل في الخيام ويتبع تحركات البدو[55].

أما بالنسبة للتجارة البدوية فكانت ترتكز فقط على تجارة المتطلبات اليومية من أغذية ومواد غذائية وغيرها، وكان نظام البيع والشراء يعتمد غالبا على نظام المقايضة وموارد القبيلة تباع وتشترى من طرف القبائل المارة أو في الأسواق القريبة مثل سوق افلو أو القصور مثل قصر تاويالة و الخضرة[56].

---

54 -Mathea Gaudry ,opcit,pp226-230.

55 - أحمد سعودي، المرجع السابق، ص38.

56- أحمد سعودي، المرجع السابق ،ص 39 .

10-1/ النسيج: أهم ما ميز جبال عمور كثرة نبات الحلفاء وتواجد مراعي للأغنام، ومن الطبيعي أن تكون أيضًا منطقة للنسيج،إذ تواجد نوعان من الافرشة ، الفراش العربي أو الأحمر، وهذا راجع للون الصوف الملون بالأحمر، والفراش القصوري(الكسر) الذي تميز بلونه الأبيض،إذ كل النساء يعرفن كيفية النسيج إلا القليل،وغالبا ما تعمل المرأة بالنسيج من اجل تلبية حاجيات العائلة وذلك ببيع أعداد هائلة من المنسوجات [57].

قبل التحدث عن عملية النسج ،نشير إلى أن عملية تسدية المنسج لا تختلف في منطقة جبل عمور عن غيرها في المناطق الأخرى، بحيث تتم هذه التسدية فوق أوتاد مغروسة في الأرض مسبقا، كما يتدخل الرقام لتحديد أبعاد النسج المراد إنجازه [58] .

ويشمل النسيج العديد من القطع ، فنجد مثلا الخيمة وهي التي يستخدمها عادة البدو الرحل، وغالبا ما تنسج بالاستعانة بالعديد من النساء حين إعدادها، وهذا ما يسميه سكان المنطقة "التويزة"،وتشمل صناعة النسيج العديد من المراحل المتعددة بدءا من غسله إلى غاية تحويله لخيوط قابلة للنسج مرورا بتلوينه، ويعتبر النسيج بمنطقة جبال عمور مهنة بارزة تسمى "المنسج" والذي تستعمل فيه العديد من الأدوات مثل :خيط القيام،الخلالة،....وغيرها، وهناك من المنتجات النسيجية مايعرف ب: " المطرح، الوساید،الكسا،الزربية"[59] ،وقبل البدء بنسج الزربية تترك المرأة في بداية نسجها من عشرة إلى خمسة عشرة سنتيمتر، وتستعمل هذه الخطوط لإنجاز الهدب أو ما يعرف بالشراشب. وتعمل عادة ثلاث أو أربع نساء بمفردهن لإنجاز الرؤوس أو الجوانب أو ما يعرف بالعذبة ويتكون من عدة خطوط متوازية، أما الحواف فتزين بزخارف هندسية ، كما تسمى العذبة السفلي "بالمبدأ " والعليا " بالرأس" [60] .

---

57 - Georges Hirtz,opcit,p61.

58- عائشة حنفي،زربية جبل عمور بمنطقة الاطلس الصحراوي الجزائرية،مجلة الاتحاد العام للأثاريين العرب، المجلد 15، العدد 15، فبراير 2014، ص ص205 -206.

59 - **زربية جبال عمور**: وهي وافرة الصوف الرفيع ، والتي يتناول فيها اللون الأحمر القرمزي مع الزرق النيلي مع أشكال هندسية متنوعة، وتلمع من مكان لأخر بلمسات هادئة من اللون البرتقالي والأخضر الغامق وتحمل الزربية أكثر من 80الف عقدة في المتر المربع الواحد، ويمكن للزربية أن تستخدم من كلا الجهتين في فصلي البرودة والحرارة، حيث ما بين 1920-1930م بدأت حرفة النسيج تعرف مزيدا من الاهتمام مع ظهور طرق احدث للصباغة والنسيج في المنطقة، وللحفاظ على هذا النوع من الحرف تم إقامة معرض دائم للنماذج القديمة في مقر برج افلو ليتم تجميعها وبيعها،للمزيد ينظر: Georges Hirtz,opcit,pp61-62.

60- عائشة حنفي،المرجع السابق، ص206.

وهناك قبائل اشتهرت بالجودة في العمل مثل أولاد سيدي الناصر وأولاد علي بن عمر و أولاد سيدي حمزة، والذين تميزوا بنسج الفراش العربي (الأحمر)، ونسيج شعر الإبل،والظفيرة ، كما اشتهر أولاد يعقوب الغابة والقمامتة بصناعة البرنوس والكسا متعددة الألوان ، وتسمى الأشكال المتعددة الموجود في الأنسجة "بالرقمة" وهناك أشخاص مختصون بابتكار العديد من الرقمات أمثال: فاطمة بنت البخاري من قبيلة العجالات ،والزهرة عيال بوغرات من منطقة انفوس، وخيرة زميت من أولاد يعقوب الشراقة، وبنت عودة من أولاد ميمون الغرابة وغيرهم[61] .

كانت نساء المنطقة تنسج الزرابي، وكان على رأس مجموعة من الناسجات "رقامة"، وكلمة رقام مأخوذة من أصل كلمة رقم أي الإنسان الذي يقوم برسم الأشكال، وليس هو النساج، ولكننا نلاحظ أن الرقام يخترع الأشكال والرسومات،ويشارك في نفس الوقت في عملية النسج[62].

وما يلاحظ هو تزايد عدد الرقامات على حساب الرقامين الرجال، بحيث اكتسبت هاته النساء الخبرة اللازمة لطول عملهن كمساعدات للرقامين، ويعود تعدد الرقامات إلى تفضيل عمل النسوة فيما بينهن هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن المرأة التي تعمل في مكان الرجال لا تكون متطلباتها كبيرة،اما فيما يخص الزربية العمورية فإنها استطاعت مقاومة المزج الثقافي، كما استطاع سكان العمور أن يستوعبوا جيدا وأن يجنسوا بعض البصمات الطفيفة، كما إن التشابه الذي يمكن كشفه بين الزربية العمورية والقوقازية أو الأناضولية هو احتمالية التقارب الموجود في الإلهام والتقنية أكثر مما هو تشابه عرقي[63] .

وما يمكننا قوله هو أن زربية جبل عمور تعكس طبيعة المنطقة، بحيث تعتبر الأكثر تمثيلا إذا ما قارنها بكل الزرابي الجزائرية للفن الامازيغي الخالي من كل التأثيرات الجانبية[64] ،حيث إن الرسومات التي نلاحظها عند الجوانب أو أطراف زرابي عمور تنتمي إلى سجل زخارف المغرب الإسلامي، وهي تميز الفن الامازيغي وهو أقدم فن معروف في المغرب العربي.وقد نجد مثيلاتها بمنطقة المغرب الأقصى وخاصة بمنطقة الأطلس الأعلى والأوسط عند الرحل،وبذلك يعتبر فراش جبل عمور من المنسوجات النموذجية المميزة

61 - Mathea Gaudry ,opcit,pp249-251.

62- عائشة حنفي، المرجع السابق، ص203.

63- نفسه ،ص 204.

64-Le R ,P Giacobelletti, ,opcit,P7.

في المغرب الإسلامي وهي من أقدم الزرابي بالجزائر، التي حافظت على أصالتها ،إذ لم تعرف أي تأثيرات أندلسية كانت أو عثمانية.[65]

النسج القصير:

ويخص العديد من الألبسة مثل : العباية ، الحايك،اللحفاية والقندورة، ومنها ذات الأشغال الرفيعة وتسمى "الجريدي" ،وهو ما يخلط من الصوف مع بعض الحرير ، ويكون ذو لون ابيض ،أما الألبسة الملونة فمنها : العباسي، الخيدوس،الجلابة ،الزقداني (المزرقط)، الخمري، الكسا، وكلها تصنع من الصوف، ضف إلى ذلك صناعة بعض البرانيس من وبر الإبل وغيرها من الألبسة[66].

عرفت منطقة جبال عمور عامة وافلو بشكل خاص صناعة النسيج ذات الأشكال والألوان المتنوعة والمختلفة، والتي أصبحت مع تقادمها تشكل موروثا ثقافيا اصيلا للمنطقة.

10-2/ صناعة الحلفاء:

عرفت منطقة جبال عمور صناعة الحلفاء بشكل واسع وذلك يرجع لتوفر نبات الحلفاء بكثرة هذا من جهة، وضرورة الاحتياجات اليومية من جهة أخرى، مما أدى إلى إنتاج العديد من الأواني والأدوات المستعملة لدى ساكنة جبال عمور مثل :الطبق(وهو على شكل صحن يتراوح قطره من 25-30سم)،الميدونة (اكبر حجما من الطبق)،القنونة(إناء لشرب الماء)، الكسكاس(إناء لطهي الكسكس)، كما يوجد بعض الأدوات تخص استخدام الحيوانات مثل(البردعة) وغيرها [67] .

10-3/ صناعة الجلد:

تقوم النساء الرحل والمستقلات بإعداد وتسمير جلود الحيوانات اللازمة لتصنيع أدوات للاحتياجات المنزلية: القربة،الشكوة،العكة،المزود،الضبية،وكلها من جلود الحيوانات،وهدفها حفظ المواد السائلة والصلبة من مواد حلبية وغيرها، بالإضافة إلى تجفيف العديد من الخضر والفواكه وحتى اللحوم(الشريح)،بغرض استعمالها في غير أوانها من خلال توظيفها في الأكلات والأطباق خلال السنة[68].

65- عائشة حنفي، المرجع السابق، ص ص210-211.

66- للمزيد حول النسيج وأنواع الزرابي بجبال عمور ينظر: .Le R.P Giacobetti, opcit ,pp 19-27 و عائشة حنفي، المرجع السابق، ص ص 209-213.

67 - Mathea Gaudry ,opcit,p289.

68 - Mathea Gaudry ,opcit,p299.

11- خاتمة: ومن خلال ما تطرقنا إليه سالفا يمكننا استخلاص مجموعة من الاستنتاجات نوجزها فيما يلي:

- تميزت منطقة جبال عمور بتركيبة اجتماعية ممثلة في مجموع القبائل المكونة للنسيج الاجتماعي بها، وهذا ما سمح لها بتكوين وبلورة نمط معيشي متميز يحضى بخصوصية اجتماعية وأخرى ثقافية.

- تمثلت التركيبة الاجتماعية لمدينة افلو خلال الفترة الاستعمارية بذلك المزيج الاجتماعي المكون من فئات عدة سواءا من مسلمين أو أوربيين أو حتى زنوج أو يهود، وهذا ما أعطى المنطقة خصوصية ميزتها العديد من الحرف والنشاطات المختلفة، وعلى سبيل المثال لا الحصر حرفة نسيج زربية جبال عمور.

- إن الزربية ذات العقدة عرفها سكان جبل عمور مع القبائل العربية التي سكنت المنطقة بعد دخول بنو هلال، و بذلك تكونت تقنية الغرزة المعقودة مشرقية الأصل، أما فيما يخص الزخرفة فهي مستوحاة من المواضيع التقليدية المعروفة في منطقة جبل عمور والتي نجدها سواء على المنسوجات الأخرى أو الصناعات التقليدية الأخرى كالفخار والمجوهرات والوشم الذي كان شائعا بكثرة في نواحي بلادنا.

- إن أهم ما ميز ملابس وأحذية ساكنة جبال عمور هو ذلك النمط الفسيفسائي والمتكون من ألبسة تقليدية محلية الصنع أحيانا، أهمها البرنوس واللحفاية والعباءة والقمجة وغيرها من الألبسة التقليدية التي يرتديها السكان المحليون هذا من جهة، ومن جهة أخرى لباس حداثي ذو نمط فرنسي غالبا ما يرتديه الأوربيون أو حتى اليهود.

- شكلت صناعة النسيج والجلود والحلفاء رافدا هاما من روافد الموروث الثقافي بالمنطقة من خلال تلك الحرف التي مارسها غالبية ساكني المنطقة من نساء ورجال، وذلك وفق ما تقتضيه الضرورة الاجتماعية والمادية أحيانا، والذي عمل على توفير مادة نسيجية وجلدية هامة بالمنطقة اعتمادا على ما تملكه هاته الأخيرة من ثروة حيوانية.

- استطاع سكان جبال عمور الاستثمار في المؤهلات الطبيعية والحيوانية للحصول على أهم متطلباتهم اليومية من مسكن، و ملبس، وأدوات مختلفة، وخير مثال على ذلك: الخيمة، الزربية ،القربة، الأحذية (بومنتل)، طبق الحلفاء،وغيرها من الأدوات والأواني اللازمة لتسهيل ظروف العيش،وذلك رغم سياسة التضييق المنهجة من طرف المسعمر الفرنسي .

- تميزت ظاهرة الزواج بمنطقة جبال عمور بخصوصية اجتماعية وأخرى ثقافية، وذلك لما احتوته من تقاليد أهم ما ميزها: شروط الزواج وصداق المرأة، مظاهر الاحتفال والتحضير، كيفية التجهيز، وغيرها من مراحل الزواج .

- شكلت الفروسية والفانتازيا أهم مظاهر الحياة الثقافية بمنطقة جبال عمور، وذلك لما يملكه سكان المنطقة من ثروة حيوانية (الحصان)، وكذلك الرغبة في الفروسية.

- أهمية منطقة جبال عمور من أهمية التنوع الاجتماعي بها بدويا كان أو حضريا، ومن اكتسابها لخصوصية ثقافية ممثلة في عادات وتقاليد ساكنيها ،وهذا ما سمح لها بتكوين موروث ثقافي وبناء اجتماعي مميز.

12- قائمة المصادر والمراجع :

باللغة العربية :

01- التلمساني أحمد بن هطال ،رحلة محمد الكبير "باي الغرب الجزائري"الى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم:محمد بن عبد الكريم، ط1، عالم الكتب، القاهرة، 1969م.

02- حنفي عائشة ،زربية جبل عمور بمنطقة الاطلس الصحراوي الجزائرية، مجلة الاتحاد العام للأثاريين العرب، المجلد 15، العدد 15، فبراير 2014

03- سعودي أحمد ، جبل عمور من خلال الكتابات الفرنسية –رحلة في أعماق التاريخ والجغرافيا والاجتماع ، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر ، 2020.

04- مهديد إبراهيم ، الأرستقراطية التقليدية الوهرانية خلال القرن19م والرأسمالية الإستعمارية : إشكالية الإندماج الاجتماعي، إنسانيات، العدد1998، 4

باللغة الأجنبية :

05- Boudot Pierre, L’Algérie mal enchainée NRF,Librairie Gallimard,1961.

06- Camps. G ,Amour(djebel), Encyclopédie berbère, Alger – Amzwar, 1986

07- Despois Jean, L’atlas saharien occidental d’algérie ksouriens et pasteurs, cahier de géographie du Quebec, 1959

08- ————————, Le Djebel Amour(Algérie), presse universitaire de France,108 Boulevard Saint-Germain,paris,1957.

09- Gaudry Mathea, La Société féminine au Djebel Amour et au Ksel, Société Algérienne d’impressions diverses, Alger,1961.

10- Hirtz Georges, L'Algérie Nomade et Ksouriénne 1830-1954, diffusion p. tacussel.

11- Kouidri Mohamed, Avifaune du Djebel Amour (Atlas saharien, Algérie): Structure du peuplement et Biogéographie, November 2019

12- Le Général Daumas ,Les Chevaux du Sahara, f.chamerot, libraire - éd , paris,1851.

13- Le R.P Giacobetti, Les Tapis Et Tissage du Djebel Amour, Librairie Ernest Leroux ,Paris,1930.